ترجمة ابن طولون[1]

*** اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه:**

هو الإمام شمسُ الدين أبو الفضل، وأبو عبد الله، محمدُ بنُ عليِّ بنِ أحمد، المدعو: محمدُ بن عليِّ بن خمارويه بنِ طولون، الدمشقيُّ الصالحيُّ الحنفيُّ، العلاّمةُ المحدّثُ المؤرّخُ النَّحْويُّ الفقيهُ المتفنِّنُ.

---

(١) ترجمته في: «الفلك المشحون» للمصنف، «شذرات الذهب» (٨/ ٢٩٨، ٢٩٩)، «الكواكب السائرة» (٢/ ٥٢)، «كشف الظنون» (٦٤، ٩١، ١٠٦، ١٣١، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٧٦، ٥٠٠، ٦١٧،٦٨٦، ٦٨٩، ٧٣٣، ٧٤٨، ٨٥٤، ٨٦١، ٩٣٤، ٩٦١، ١٠٩٨، ١١١٩، ١١٨٨، ١١٩١، ١١٩٤، ١٢٠٢، ١٤٩٤، ١٧١٩، ١٨١٦، ١٩٠١، ١٩١٩، ١٩٦٧، ١٩٨٤)، «فهرس الفهارس» (١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩١)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٥١).

وما ذُكِر في ترجمته من قبل بعض محققي كتبه، مثل:

ـ الأستاذ عبد العظيم حامد في مقدمة كتاب «إعلام الورى».

ـ والأستاذ محمد أحمد دهمان في مقدمة كتاب «القلائد الجوهرية».

*** مولده ونشأته:**

ولد بصالحية دمشق في ربيع الأول عام ٨٨٠هـ، ونشأ في أسرة علمية تتكسب بالتجارة.

*** طلبُهُ العلمَ، وشيوخُهُ:**

تَعلَّمَ أولَ أمرِهِ في المدرسة الحاجبية مبادىء الخط، ثم في مسجد العساكرة، فحفظ القرآن قبل أن يُتم السابعةَ من عمره.

ثم حفظ عدداً من المتون؛ في الفقه، والأصول، والنحو، والتجويد، والحديث.

وتلا القرآنَ بالسبع من طريق «الشاطبية»، و«التيسير»، ثم بالقراءات الثلاث؛ تتمة العشر من طريق «الدرّة».

كما قرأ في العلوم الأخرى؛ كالتاريخ، والتصوف، وعلم الكلام، والمنطق، والطب، وعلم الحساب، وعلم الميقات، وعلم الهندسة والهيئة، وعلم الفلك، وغير ذلك.

وقد اعتنى برواية الحديث، فلازَمَ شيخَهُ ناصرَ الدين بنَ زريق نحواً من عشر سنين، قرأ عليه أثناءها نحوَ سبع مئة جزء من كتب الحديث؛ كالكتب الستة، و«الموطأ» و«مسند الإمام أحمد».

وقرأ على جمالِ الدين يوسفَ بنِ عبد الهادي الشهير بابن المِبرَد، وغرْسِ الدين خليلِ بن يعقوب الفراديسي، وأبي الفتح

السكندري المزي، وأبي المفاخر عبدِ القادر بن محمد النعيمي، وسراج الدين أبي حفص عمَر بنِ عليٍّ بنِ الصيرفي، وغيرِهم.

وتفقّه على عمِّه العلاّمة جمالِ الدين يوسفَ بنِ طولون، وغيره.

وحضر على شَيْخاتٍ، وأخذ عنهن بعضَ الحديث، منهن: خديجةُ بنتُ عبد الكريم الأرموية، وفاطمةُ بنتُ خليل بن علي الحرستاني، والمسنِدَةُ أم محمد ستُّ القضاة بنتُ العماد.

وأجازه علماء كثيرون، منهم: السيوطيُّ ـ مكاتبةً ـ في جماعة من المصريين والحجازيين والدمشقيين[1].

*** تلاميذه:**

كان لابن طولون مشاركةٌ في سائر العلوم النقلية والعقلية، مما حدا بالطلاب إلى قصده والرحلة إليه طلباً للعلم، والتلقي والسَّماع، وقد أخذ منه كثيرون، منهم: شهاب الدين أحمدُ بنُ أحمدَ الطيبيُّ الشافعي خطيبُ الجامع الأموي، وعلاءُ الدين عليُّ بن عماد الدين إسماعيل بن موسى الشهير بابن علاء الدين، ونجمُ الدين محمدُ بنُ محمد البهنسي، والشيخُ إسماعيل النابلسي، وغيرُهم كثير من أصحاب المذاهب الأربعة،

---

(١) ينظر: «إجازات شريفة للحافظ محمد بن طولون وغيره» المطبوع باسم «نوادر الإجازات والسماعات» بتحقيق: الدكتور مطيع الحافظ.

أخذوا عنه الحـديث، والفقـه، واللغـة، والعـروض، والتاريخ، وغير ذلك.

*** أقوال العلماء فيه، وثناؤهم عليه:**

قال فيه شيخُه ابنُ زريق: إنه مع صغرِ سنِّه، وقُربِ أَخْذِهِ، فاقَ مَنْ تَقدَّمَ عليه باجتهاده، وتحرِّيه وانتقاده، حتى رجوتُ له، وانشرحَ الصّدرُ، أنْ يكونَ هو القائمَ بأعباء هذا الأمر.

وقال النجم الغزي في «الكواكب السائرة»: الشيخ، الإمام، العلامة، المسند، المفنِّن، الفهامة.

وقال: كان ماهراً في النحـو، علاّمـة في الفقـه، مشهوراً بالحديث.

وقال: وكان ربما نظم الشعر، وليس شعرُه بذاك؛ على قلته.

وقال ابن العماد: الإمام، العلامة، المسند، المؤرخ... وكان ماهراً في النحو، علاّمةً في الفقه، مشهوراً بالحديث... وكان واسعَ الباع في غالب العلوم المشهورة، حتى في التعبير والطب.

وقال الكتاني: هو الإمام، العلاّمة، المحدّث، مسنِدُ الشام ومفخرتُه وحافظُه.

*** آثاره، ومصنفاته:**

كان العلاّمة ابن طولون واسعَ الاطلاع، متفنناً في العلوم، له

في أغلب العلوم تصنيف، أو تلخيص، أو تعليق؛ مما جعله من أكثر المصنفين غزارةً في التأليف. وقد بلغت مؤلفاته (٧٥٣) مؤلَّفاً على ما أحصاه الأستاذ محمد خير رمضان يوسف، منها الرسالة الصغيرة التي تقع في أوراق معدودة، ومنها ما يقع في عدة مجلدات[١].

ومما طُبع من مؤلفاته:

- «**الأحاديث المئة المشتملة على مئة نسبة إلى الصنائع**» تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني.
- «**الأربعين في فضل الرحمة والراحمين**» تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.
- «**إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين**» تحقيق: محمود الأرناؤوط.
- «**إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**» تحقيق: محمد أحمد دهمان.
- «**إنباء الأمراء بأنباء الوزراء**» تحقيق: مهنا حمد المهنا.
- «**بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر**» شرح وتحقيق: عبد المتعال الصعيدي.

---

(١) وقد ذكر ابن طولون نفسُهُ (٧٢٦) كتاباً من مصنفاته في كتابه «الفلك المشحون» الذي ضمَّنه سيرتَهُ ومؤلفاتِهِ. وقد طُبع عدة مرات، كان آخرها بتحقيق محمد خير رمضان يوسف.

ـ «**تأييد الإنكار لإتيان الطيور ونحوها في الأوكار**» تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

ـ «**تبييض الطِّرْس بما ورد في السَّمَر ليالي العرس**».

ـ «**تشييد الاختيار لتحريم الطبل والمزمار**» تحقيق: مجدي فتحي السيد.

ـ «**التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران**» تحقيق: صلاح الدين خليل الشيباني.

ـ «**تحفة الطالبين في إعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف: ٥٦]» تحقيق: زيّان أحمد الحاج إبراهيم.

ـ «**التحرير المرسخ في أحوال البرزخ**» تحقيق: إبراهيم حمدي.

ـ «**الترشيح لبيان صلاة التسبيح**» تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني.

ـ «**الثغر البسَّام في ذكر من وليَ قضاء الشام**» تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.

ـ «**دلالة الشكل على كمية الأكل**» تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

ـ «**ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر**» تحقيق: صلاح الدين الموصلي.

ـ «**رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾** [النحل: ١٢٠]»
تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

ـ «**الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية**»
تحقيق: صلاح الدين المنجد.

ـ «**الشذرة في الأحاديث المشتهرة**» تحقيق: كمال بن بسيوني زغلول.

ـ «**شرح ابن طولون على الألفية**» تحقيق: د. عبد الحميد جاسم محمد الفياض الكبيسي.

ـ «**الشمعة المُضِيَّة في أخبار القلعة الدمشقية**» طبع بإشراف: حسام الدين القدسي.

ـ «**ضرب الحُوطة على جميع الغوطة**» تحقيق: محمد أسعد طلس، مجلة المجمع: دمشق ٢١/ سنة ١٩٤٦.

ـ «**عجب الدهر في تذييل من ملك مصر**» تحقيق: صلاح الدين المنجد.

ـ «**العقود الدرية في الأمراء المصرية**».

ـ «**عنوان الرسائل الى معرفة الأوائل**» تحقيق: العمروي.

ـ «**غاية البيان في ترجمة الشيخ أرسلان الدمشقي**» تحقيق: أحمد الإيبش.

ـ «**فص الخواتم فيما قيل في الولائم**» تحقيق: نزار أباظة.

ـ «**الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون**» تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

ـ «**قرة العيون في أخبار باب جيرون**» تحقيق: صلاح الدين المنجد.

ـ «**القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**» تحقيق: محمد أحمد دهمان.

ـ «**قيد الشريد من أخبار يزيد**» تحقيق: محمد زينهم عزب.

ـ «**اللمعات البرقية في النكت التاريخية**» تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

ـ «**مرشد المحتار إلى خصائص المختار**» تحقيق: بهاء محمد الشاهد.

ـ «**المسائل الملقبات في علم النحو**» تحقيق: د. عبد الفتاح السيد سليم.

ـ «**المعزّة فيما قيل في المزّة**» تحقيق: محمد عمر حمادة.

ـ «**مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**» وضع حواشيه: خليل عمران المنصور.

ـ «**المنهل الروي في الطب النبوي**» تحقيق: زهير عثمان الجعيد.

ـ «**نقد الطالب لزغل المناصب**» تحقيق: محمد أحمد دهمان،

وخالد محمد دهمان.

ـ «**وبل الغمام فيمن زوجه النبي عليه السلام**» تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني.

*** وفاته:**

توفي يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى من سنة ثلاث وخمسين وتسع مئة، ودفن بتربتهم عند قبر عمه جمال الدين يوسف بن طولون، في سفح جبل قاسيون، قبليَّ الكهف والخوارزمية، عن عمر يناهز ٧٣ عاماً ـ رحمه الله تعالى ـ.